أصدقاء دائما

أنا وعصفور الجنة

بقلم : محمود رمضان حميده

رسوم : ماهر عبد القادر

دار الرشاد

obeikandl.com

فِي عيدِ ميلادِي السَّابِعِ أَهْدَتْنِي إِحْدَى صَديقاتِي سُلَحْفاةً صَغيرَةً اسْمُها " سُولِي " فَرِحْتُ بِها كثيرًا ، وأَحْبَبْتُها كَثيرًا .

شَيءٌ واحِدٌ أَحْزَنَنِي ؛ كانَتْ سُولِي بَطيئَةً أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ ، وكانَ عَلَيَّ دائِمًا أَنْ أُقَدِّمَ إِلَيْها النَّصيحَةَ :

- سُولِي ، أَيَّتُها الكَسُولَةُ ؛ لِماذا أَنْتِ بَطيئَةٌ هَكَذا ؟

يَجِبُ أَنْ تَخْجَلِي مِنْ نَفْسِكِ ، نَحْنُ نَعيشُ عَصْرَ السُّرْعَةِ .

ومَعَ هذا ظَلَّتْ سُولِي تَتَجاهَلُ نَصائِحي ، ولا تُبالِي بِغَضَبِي ، وبَقِيَتْ تَتَعامَلُ مَعَ الحياةِ بِبُطْءٍ شَديدٍ كَأَنَّها تَتَعَمَّدُ ذَلِكَ .

فَكَّرْتُ طَويلاً ، لابُدَّ مِنْ حَلٍّ يُرْغِمُ سُولِي عَلى تَرْكِ الكَسَلِ ويُحيلُها إِلَى مَخْلُوقٍ آخَرَ يَفيضُ مَرَحًا ونَشاطًا مِثْلي .

أَخيرًا اهْتَدَيْتُ إِلَى فِكْرَةٍ رائِعَةٍ :

- سَأَجْعَلُ سُولِي تَطيرُ ، بَلْ وتَسْبِقُ فِي طَيَرانِها طُيُورَ الوَرْوَارِ وعَصافِيرَ الجَنَّةِ .

وفي المساءِ فاجَأتُ أبي بالخَبَرِ المثيرِ :

– أبي ، سَأحَرِّر سُولِي مِنَ البُطْءِ والكَسَلِ وأجْعَلُها تَنْطَلِقُ عاليًا في سَماءِ المَجْدِ .

ويَبْدُو أنَّ أبي لَمْ يَفْهَمْني ، هلْ كَلامي غامِضٌ أوْ مُبْهَمٌ ؟ رُبَّما ظَنَّني أمْزَحُ ؛ رَسَمْتُ عَلى وَجْهي عَلاماتِ الجِدِّ ، وَأعَدْتُ الكَلامَ ، لَكِنَّهُ تَطَلَّعَ نَحْوِي مُبْتَسِمًا وظَلَّ صامِتًا .

– بابا ؛ أرْجُوكَ افْهَمْني .

وهُنا مَسَحَ بِيَدِهِ عَلى رَأسي قائلاً :

– دَعِي السُّلَحْفاةَ وشَأنَها ، إنَّها تَعيشُ الحياةَ وتَسْتَمْتِعُ بِها وِفْقَ طَبيعَتِها الخاصَّةِ ، وَلَيْسَ مِنَ الصَّوابِ أنْ تُحاوِلِي إرْغامَها عَلى شَيْءٍ يُزْعِجُها .

مَنْ قالَ إنِّي أحاوِلُ إرْغامَها أوْ إزْعاجَها ؟

أنا لَمْ أقُلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، أعْرِفُ أنَّ الكِبارَ يَنْظُرونَ إلَيْنا أحْيانًا كَأطْفالٍ أشْقِياءَ ، وهَذا خَطَأٌ بِالطَّبْعِ مِنْهُمْ ، فَنَحْنُ في الحَقيقَةِ مُسْتَكْشِفونَ وَمُبْتَكِرونَ مِنَ الطِّرازِ الأوَّلِ .

– أبي ؛ كُنْ مُطْمَئِنًا فَأنا لَنْ أُزْعِجَ سُولِي لأنِّي أحِبُّها تَمامًا مِثْلَما تُحِبُّني أنْتَ ، وأنا فَقَطْ أوَدُّ أنْ أُساعِدَها لِتَعيشَ الحياةَ على نَحْوٍ أفْضَلَ .

* * *

في اليَوْمِ التَّالي تَقابَلْتُ مَعَ صَديقَتي " نُهى " وَعَرَضْتُ عَلَيها فِكْرَتي ، فَبَدَتْ مُنْبَهِرَةً :

- يالَها مِنْ فِكْرَةٍ رائِعَةٍ ؛ سُلَحفاةٌ تَطيرُ !

عِنْدَما تَنْجَحُ سَوْفَ تَتَناقَلُها الصُّحُفُ وَتُعْلِنُها الإذاعاتُ وَرُبَّما ظَهَرْنا عَلَى شاشاتِ التِّلْفازِ مَعَ سُولي ؛ عَلَيْنا أنْ نُكَرِّرَ التَّجْرِبَةَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ مَخْلوقاتٍ أخْرَى . ماأجْمَلَ أنْ تَمْتلئَ السَّماءُ بالكِلابِ والقِطَطِ والأرانِبِ المُحَلِّقَةِ !!

وغَمَرَتْني السَّعادَةُ وأنا أحْتَجُّ هامِسَةً : كِلابٌ وأرانِبُ وقِطَطٌ ! قَديـــمًا قَرَأْتُ قِصَّةً عَنْ حِصانٍ يَطيرُ ، وَأعْجَبَتْني كَثيرًا صُورَتُهُ وَقَدْ حَلَّقَ بِجَناحَيْهِ فِي الهَواءِ ؛ فَلِماذا لا نَجْعَلُ الخَيْلَ والحَميرَ تُحَلِّقُ في الجَوِّ أيْضًا ؟

وأيَّدَتْ نُهَى كَلامي عَلَى الفَوْرِ :

- لابَأسَ ، أفْكارُكِ رائِعَةٌ ، سَنَبدَأُ بِحِمارٍ صَغيرٍ ، وحينَ يَتَدَرَّبُ جَيِّدًا عَلَى الطَّيَرانِ سَنَعْلُو ظَهْرَهُ سَوِيًّا لِنَلْمَسَ السَّحابَ ، وَنَرَى إنْ كانَتْ أناملُنا سَتَبْتَلُّ بالماءِ أمْ لا .

وسَألْـــتُها باهْتِمامٍ : كَيْفَ إذَنْ نَحْصُلُ على حِمارٍ شُجاعٍ يَقْبَلُ التَّعاوُنَ مَعَنا دُونَ خَوْفٍ أوْ تَرَدُّدٍ ؟

فَأجابَتْ بِلَهْجَةِ العارِفِ :
- لا تَشْغَلي بالَكِ ؛ فالحَميرُ مَخْلُوقاتٌ ذَكِيَّةٌ وَنَبيلَةٌ ، وَلَنْ يَتَرَدَّدَ مَنْ نَخْتارُهُ مِنْ بَيْنِها أمامَ فُرْصَةٍ ذَهَبِيَّةٍ كَتِلْكَ .
واطْمَأنَّ قَلْبِي لِكلامِها .
* * *

هَذَا صَباحٌ مُبْهِجٌ ، رَائِعٌ .

تَناوَلْتُ إفْطارًا جَيِّدًا ، ثُمَّ اصْطَحَبْتُ سُولِي وَهَبَطتُ إلى الحديقَةِ .

هاهِيَ نُهى تَجْلِسُ تَحْتَ شَجَرَةِ الصَّفْصَافِ الضَّخْمَةِ .

يالَها مِنْ صَديقَةٍ رائِعَةٍ تُحافِظُ دائِمًا عَلَى المواعيدِ التي بَيْننا !

- مَرْحَبًا يانُهى ، كَمْ أنا سَعيدَةٌ بِمَرْآكِ ، هَيَّا سَنَتَّجِهُ نَحْوَ البُرْجِ المهْجورِ ، هَلْ أحْضَرْتِ مَعَكِ كُلَّ شَيءٍ ؟

أجابَتْ بِسَعادَةٍ :

- انْظُري ؛ تِلْكَ هِيَ رِيشاتُ الإوَزَّةِ البَيضاءُ وَقَدْ صَنَعْتُ مِنْها أجْنِحَةً جَميلَةً لِسُولِي وتِلْكَ رِيشاتٌ أُخْرَى عَلَى هَيْئَةِ الذَّيْلِ .

كُنَّا قَدْ وَصَلْنا في سَيْرِنا إلَى مَدْخَلِ البُرْجِ ، فَتَوَقَّفْنا وقُمْنا بِتَثبيتِ الأجْنِحَةِ ثُمَّ الذَّيْلِ لِسُولِي التي بَدَتْ كَطائِرٍ خُرافِيٍّ عَجيبٍ ، وَمَعَ هَذا لَمْ يَبْدُ أنَّها سَعيدَةٌ بِما فَعَلْنا مِنْ أجْلِها ، لَقَدْ سَحَبَتْ رَأسَها وَأطْرافَها دَاخِلَ الصَّدَفَةِ ورَفَضَتْ أنْ تَخْرُجَ رَغْمَ إغْرائِنا لَها .

- سُولِي ؛ بَعْدَ لَحظاتٍ تُحَقِّقينَ مَجْدًا عَظيمًا تُباهينَ بِهِ كُلَّ سَلاحِفِ الدُّنيا ، لا تَكوني عَنيدَةً ؛ فَنَحْنُ أمامَ حَدَثٍ مُثيرٍ .

وَبَعْدَ طُولِ انْتِظارٍ قالَتْ نُهى بِلَهْجَةٍ يائِسَةٍ :

- مالعَمَلُ ؟ سُولِي عَنيدَةٌ جِدًّا ، وهاهِيَ تُفْسِدُ بِمَكْرِها كُلَّ ماقُمْنا بِهِ مِنْ أجْلِها .

وَرَغْمَ خَجَلِي مِنْ عَجْزِنا الوَاضِحِ ، وَجَدْتُنِي أدافِعُ عَنْها :

- عَلَيْنا أنْ نَثِقَ في حِكْمَةِ سُولِي يانُهى ، لاشَكَّ هِيَ تَنْظُرُ لِلمَسْأَلَةِ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، ماذا لَوْ فَشِلَتِ التَّجْرِبَةُ ، ولَمْ تَتَمَكَّنْ مِنَ الطَّيَرانِ حينَ نَدْفَعُ بِها مِنْ أعْلَى البُرْجِ ؟

وردَّتْ نُهى بِخَوْفٍ وإشْفاقٍ :

- عِنْدَكِ حَقٌّ فيما تَقُولينَ ؛ الحياةُ غالِيَةٌ.

قُلْتُ : عَلَيْنا إذَنْ أنْ نَبْحَثَ عَنْ بَديلٍ يَقْبَلُ القِيامَ بالتَّجْرِبَةِ دُونَ خَوْفٍ أوْ تَرَدُّدٍ .

وفَوْرًا شَرَعْنا في البَحْثِ بَيْنَ أرْجاءِ الحديقَةِ الواسِعَةِ عَنِ البَديلِ ، وطالَ بِنا البَحْثُ دُونَ جَدْوَى ، ثُمَّ فَجْأةً تَعَثَّرَتْ قَدَمي بِقِطْعَةٍ مُسْتَديرَةٍ مَلْساءَ مِنَ الصَّخْرِ ، تَناوَلْتُها وَصِحْتُ صَيْحَةَ الفَوْزِ :

– انْظُري ؛ إنَّها تُشْبِهُ سُولِي إلَى حَدٍّ كَبيرٍ .

وَتَطَلَّعَتْ نُهى في غَيْرِ اكْتِراثٍ ، ثُمَّ قالَتْ :

– ومَاذا يَقولُ النَّاسُ عنَّا حينَ تَمْتلِئُ السَّماءُ بالصُّخُورِ الطَّائِرَةِ ؟

أجَبْتُ بإصْرارٍ :

– لَيْسَ أمامَنا سِواها الآنَ ، سَوْفَ نَجْعَلُها تَطيرُ وسَوْفَ تَشْهَدُ سُولِي مَعَنا التَّجْرِبَةَ لِتَتَشَجَّعَ حينَ يأتي دَوْرُها مِنْ جَديدٍ .

وبِهِمَّةٍ ونَشاطٍ قُمْنا بِنَقْلِ الجَناحَيْنِ والذَّيْلِ مِنْ سُولِي إلَى الصَّخْرَةِ بَعْدما أطْلَقْنا عَلَيْها اسْمَ : (عُصْفورَ الجَنَّـــةِ) .

كَمْ كانَ صُعودُ البُرْجِ إلَى قِمَّتِهِ شَاقًّا ، ولَكِنْ لابَأسَ فَها نَحْنُ الآنَ نَقِفُ بِأعْلَى شُرْفَةٍ فيهِ وبِصُحْبَتِنا سُولِي وَعُصْفورُ الجَنَّـــةِ .

– اسْتَعِدِّي يانُهى ، سَأقْذِفُ بِعُصْفورِنا الجَميلِ في الفَضاءِ ، عَلَيْكِ أنْ تُراقِبي جَيِّدًا كُلَّ حَرَكاتِهِ ، وأنْتِ أيضًا ياسُولِي راقِبي كُلَّ شَيءٍ قَبْلَ أنْ يأتِيَ دَوْرُكِ .

هَيَـــا أيُّـــها العُصْفورُ الرَّشيقُ ، كُنْ شُجاعًا ولا تَخَفْ .

وهَتَفَتْ نُهَى :

- لا تُمْعِنْ فِي الارْتِفاعِ فَقَدْ تَتُوهُ بيْنَ السَّحابِ .

وبِكُلِّ قُوَّتِي طَوَّحْتُ بِعُصْفورِ الجَنَّـــةِ نَحْوَ الفَضاءِ الواسِعِ ، ويالَسُوءِ الحظِّ ، لَمْ يُحاوِلِ الطَّيَرانَ ولَوْ لِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ .

يَالَغَبائِـــهِ وبَلادَتِـــهِ !!

وفي أسْفَلِ البُرْجِ كانَ الكَلْبُ لُولي قَدْ وَصَلَ لِتَوِّه حَيْثُ فُوجِئَ بِارْتِطامِ عُصْفورِ الجنَّة بِالأرْضِ ، فَبادَرَ بالفِرارِ ، لَكِنَّهُ عادَ بَعدَ قَليلٍ خَجِلاً مِنْ نَفْسِه ، وَهاجَمَ عُصْفورَ الجنَّة وَدَخَلَ مَعَهُ في مَعْرَكَة ، وفي لَحَظاتٍ كانَ قَدْ مَزَّقَ عَنْهُ كُلَّ الرِّيشاتِ الَّتي بَذَلْنا جُهْدًا كَبيرًا في تَثْبيتِها ، وَهَكَذا عادَ عُصْفورُ الجنَّة مُجَرَّدَ قِطْعَةٍ مِنْ صَخْرٍ .

– والآنَ مارَأيُكِ يانُهَى ؟

أجابَتْ : لَقَدْ أخْطَأنا باخْتِيارِ عُصْفورِ الجنَّة هَذا ، فالصُّخُورُ لا تَفْهَمُ شَيئًا ، وَأظُنُّها لا تُحِبُّ الطَّيرانَ أيْضًا .

ونَظَرْتُ إلَى سُولي فَوَجَدْتُها قَدْ أخْرَجَتْ رَأسَها ، وخُيِّلَ لي أنَّ عَيْنَيْها تَنْطِقانِ بالشَّماتَة واللَّوْمِ ، فَقُلْتُ هامِسَةً لَها :

– عِنْدَكِ حَقٌّ ياسُولي ، لَقَدْ كُنْتِ أبْعَدَ مِنَّا نَظَرًا وأكثَرَ حِكْمَةً .

وَحينَ هَبَطْنا مِنَ البُرجِ لَمْ يَكُنِ الهُبوطُ صَعبًا كالصُّعُودِ ، ولا أدْري لِماذا ؟

والآنَ نَجْلِسُ سَوِيًّا تَحْتَ شَجَرَةِ الصَّفْصافِ لِنَتَدَبَّرَ الأمْرَ ؛ كنَّا نَظُنُّ أنَّ المَسْأَلَةَ سَهْلَةٌ ، لَكِنَّها بَدَتْ أصْعَبَ بِكثيرٍ مِمَّا نَتَخيَّلُ .

قالَتْ نُهَى :

– يَجِبُ أنْ نَحْصُلَ عَلَى أجْنِحَةٍ ضَخْمَةٍ قَوِيَّةٍ لا تَخْذِلُ صاحِبَها في الفَضاءِ ولا تَجْعَلُهُ يَهْوِي سَريعًا نَحْوَ الأرْضِ .

وأثارَ كلامُها لَدَيَّ سُؤالاً عَجيبًا :

- لِماذا لَمْ يَسْقُطْ عُصْفورُ الجنَّة لأعلَى نَحْوَ السَّماءِ حتَّى يُلامِسَ النُّجومَ بَدلاً مِنَ السُّقوطِ لأسْفَلَ والارْتِطامِ بالأرْضِ ؟

وبَدَتْ عَلاماتُ الدَّهْشَةِ علَى وَجْهِ نُهَى واحْتارَتْ بِماذا تُجيبُ .

وتابَعْتُ حَديثي بِحَماسٍ :

- كُلُّ شَيءٍ نَقْذِفُهُ في الفَضاءِ يَتَّجِهُ مُباشَرَةً نَحْوَ الأرْضِ وكأنَّها تُناديهِ فَيُلَبِّي مُسْرِعًا .

وهَمَسَتْ نُهى مُحْتَجَّةً :

- لِماذا نَشْغَلُ بالَنا بأسْئِلَةٍ مِنْ هَذا النَّوْعِ ؟ لَقَدْ جَرَتِ العادَةُ بِأنْ تَتَّجِهَ الأشْياءُ لأسْفَلَ ، هَذا كُلُّ مافِي الأمْرِ .

ولَمْ أقتنِعْ بما تَقولُ ، ويَبدُو أنـــها لَمْ تَفْهَمْنِي جَيـــدًا .

- نُهى ؛ اسْمَحِي لِي أنْ أذْكُرَ لَكِ مايَدورُ ببالِي بِصُورَةٍ أوْضَحَ ؛ تَعْلَمينَ أنَّ الأرْضَ كَرَوِيَّـــةٌ ..

وهَزَّتْ رَأسَها مُوافِقَةً ، فَتابَعْتُ حَديثي :

- لِنَفْرِضْ أنـــنا نَعيشُ على السَّطْحِ السُّفليّ لِتلْكَ الكُرَةِ العَظيمَةِ ونَتَحَرَّكُ عَكْسَ مَنْ يَعيشونَ عَلَى السَّطْحِ العُلْوِيّ ؛ عَلَى كُلِّ الأشْياءِ فِي تِلْكَ الحالـــةِ أنْ تَسْقُطَ لأعْلَى ولَيْسَ لأسْفَلَ .

وصاحَتْ نُهى مَبْهورَةً بِما قُلْتُ :

- يالَلغَرابَةِ الفِكْرَةِ ! إنَّني مُقتَنِعَةٌ بِها تَمامًا ، ومَعَ هَذا فنَحْنُ لَمْ نَسْمَعْ بِحُدوثِها فِي أيِّ مَكانٍ مِنَ العالَمِ .

وفَجْأةً سَمِعْنا صَوتًا يَأتِي مِنْ خَلْفِ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَجْلِسُ تَحْتَها :

- مَهْلاً أيـــتُها الشَّقيـــتانِ ، واسْمَحا لِي بِالْمُشارَكَةِ .

- أبِي ؛ مَرْحبًا بِكَ ، جِئْتَ فِي الوَقْتِ المناسِبِ .

- خَرَجْتُ أتَرَيـــضُ فَسَمِعْتُ مُصادَفَـــةً بَعْضَ حَديثِكُما .

- إذَنْ مارَأيـــكَ فيما سَمِعْتَ ؟

- خَدَعَتْكُما كَلِمَتا : (أعْلَى وأسْفَلُ)

ثُمَّ أخْرَجَ وَرَقَةً وقَلَمًا مِنْ جَيْبِهِ ورَسَمَ لنا دائِرَةً تُمَثِّلُ الكُرَةَ الأرْضِيَّةَ ، وَفَوْقَها رَسَمَ أشْخاصًا مُتقابِلينَ مِنَ الشَّمالِ والجَنوبِ ، ومِنَ الشَّرْقِ والغَرْبِ ، ومَعَ كُلِّ شَخْصٍ حَدَّدَ بِسَهْمَيْنِ (أعلَى وأسْفلَ) الخاصَّيْنِ بِمَوْضِعِهِ .

وَحَسَبَ رَسْمِهِ فَإنَّ (أسْفَلَ) تَعْنِي الاتِّجاهَ نَحْوَ مَرْكَزِ الكُرَةِ الأرْضِيَّةِ ، وَ(أعْلَى) تَعْنِي الاتِّجاهَ بَعيدًا عَنْهُ :

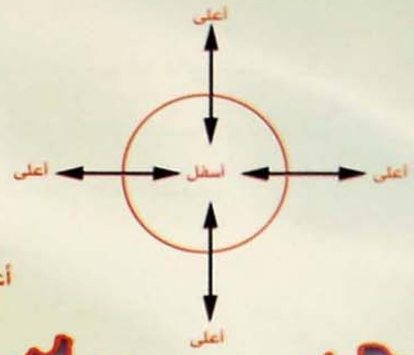

وهَكَذا فُوجِئْتُ أنَا وَصَديقَتي بِأنَّ الاتِّجاهَ نَحْوَ أعْلَى أوْ أسْفَلَ يَخْتَلِفُ باخْتِلافِ الموْقِعِ مِنْ سَطْحِ الكُرَةِ الأرْضِيَّةِ ، ولَيْسَ ثابِتًا لا يَتَغَيَّرُ كَما كُنَّا نَعتَقِدُ ، فَالمسْأَلَةُ إذَنْ نِسْبِيَّةٌ .

- بَقِيَتْ مَسْأَلَةٌ أخْرَى ياأبي : لِماذا تَتَّجِهُ كُلُّ الأشْياءِ السَّاقِطَةِ نَحْوَ الأرْضِ أوْ لأسْفَلَ كما نَقُولُ ؟
- يَحْدُثُ هَذا بِفِعْلِ الجاذِبِيَّةِ الأرْضِيَّةِ ، تِلْكَ القُوَّةِ العَجيبَةِ التي تَجْذِبُ كُلَّ شَيءٍ نَحْوَها وَيَسْتَحيلُ التَّخَلُّصُ مِنْ قَبْضَتِها القَوِيَّةِ: أوْراقَ الشَّجَرِ المتساقِطَةَ ، وَقَطراتِ المطَرِ ، والأنْهارَ التي تَتَحَدَّرُ في سَيْرِها ، والشُّهُبَ التي تَتَوَهَّجُ مُخترِقَةً غُلافَ أرْضِنا الجَوِّي ، وحَتَّى الكُراتِ التي نَلْعَبُ بِها وَنَقْذِفُها في الهواءِ لِتَرْتَدَّ إلَيْنا سَريعًا .

وفَجْأةً سَألَني أبي : كَمْ يَبْلُغُ وَزْنُـكِ الآنَ يابُنَيَّتي ؟

قُلْتُ : خَمْسَةً وعِشْرينَ كيلوجرامًا .

- وأنتِ يانُهَى ؟

- ثلاثينَ كيلوجرامًا .

سَألَ مِنْ جديد : كَيْفَ حَدَّدَ الميزانُ لِكُلٍّ مِنْكُما وَزنًا مُناسِبًا ؟

وجاءَتْ إجابَتي وإجابَةُ نُهَى : لا نَدْري .

قالَ أبي :

- عِنْدَما نَزِنُ شَيئًا ما فَإنَّ الميزانَ في الواقِعِ يُحَدِّدُ لَنا مِقْدارَ الجَذْبِ الحادِثِ بِفِعْلِ الجاذِبيَّةِ الأرْضِيَّةِ لِهَذا الشَّيءِ .

سَألْتُ أبي سُؤالاً ظَنَنْتُهُ عَويصًا :

- لِماذا إذَنْ اخْتَلَفَ وَزْني عَنْ وَزْنِ نُهى رَغْمَ أنَّ عُمْرَها مِثْلُ عُمْري ، وَجَذْبُ الأرْضِ لَها مِثْلُ جَذْبِها لِي ؟

ضَحِكَ أبي وقالَ :

- لأنَّها أكْبَرُ مِنكِ كُتلَةً خَضَعَتْ لِقُوَّةِ جَذْبٍ أكبَرَ ، ولا دَخْلَ لِلعُمْرِ في ذَلِكَ .

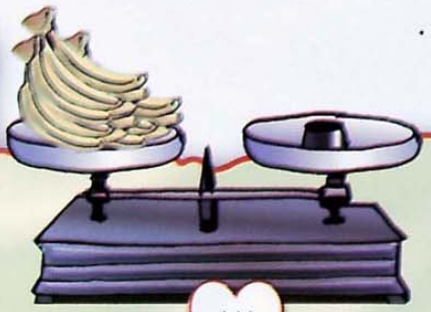

وفي خَجَلٍ سَأَلَتْ نُهَى :

- أَلَيْسَ مِنَ الأَفْضَلِ أَنْ تَنعَدِمَ الجاذِبِيَّةُ الأَرْضِيَّةُ لِنَتَحَرَّرَ مِنْ قَبْضَتِها وَنَتَمكَّنَ مِنَ الطَّيَرانِ والسِّباحَةِ فِي الهَواءِ ؟

ابتَسَمَ أَبِي ، وقالَ فِي رِفْقٍ :

- رَغْمَ أَنَّـها فِكْرَةٌ خَيالِيَّةٌ مُسْتحيلَةُ التَّحَقُّقِ ، فَسَوفَ نَتَخَيَّلُ حُدوثَها لِنَرَى بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ كانَتِ النَّتائِجُ فِي صالِحِنا أَمْ لا .

لَوِ انْعدَمَتِ الجاذِبِيَّةُ الأَرْضِيَّةُ فَسَوْفَ يَتَسَرَّبُ عَلَى الفَوْرِ كُلُّ الهَواءِ المُحيطِ بِالأَرْضِ إِلَى الفَضاءِ الخارِجِيِّ .

قُلْتُ بِفَزَعٍ : مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ تَنْعَدِمَ الحياةُ عَلَى الأَرْضِ .

وتابَعَ أَبِي : أَيْضًا سَوْفَ تَنْسابُ إِلَى الفَضاءِ الخارِجِيِّ كُلُّ مِياهِ البِحارِ والمُحيطاتِ والأَنْهارِ لِتضيعَ إِلَى الأَبَـدِ .

وَتَساءَلَتْ نُهَى : وهَلْ نَضيعُ نَحْنُ أَيْضًا ؟

رَدَّ أبي : كُلُّ المخْلوقاتِ وسَائرُ الأشْياءِ الأخْرَى سَوْفَ تَقْذِفُها الأرْضُ خِلالَ دَوَرانِها نَحوَ الفَضاءِ لِتَتَناثَرَ في فَوْضَى بلا حُدود .

قُلْتُ : سَتغْدُو الأرْضُ كُرَةً جَرْداءَ خالِيَةً مِنْ كُلِّ صُوَرِ الحياةِ ، بَلْ وخالِيَةً مِنْ طَمْيِها ورَمْلِها وَصَخْرِها ومائِها وهَوائِها .

وتَابع أبي : القَمَرُ أيْضًا سَيَتْرُكُ الدَّورانَ حَوْلَ الأرْضِ ويَضيعُ .

وهُنا هَتَفَتْ نُهى بِلَهْجَةٍ حاسِمَةٍ :

- لا أُريدُ أنْ تَنْعَدِمَ الجاذِبِيَّةُ ، ولا أريدُ أنْ أطيرَ .

وطَمْأنـــها أبي :

- لَنْ تَنعَدِمَ الجاذبيَّةُ ياصَغيرتي ، لأنـــها نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ لا يَقُومُ بدونها بناءُ الأكْوَانِ .

أمَّا أنا فَقُلتُ مُبتَهِجَةً :

- أظُنـــُّني قَدِ اكْتشَفْتُ السِّرَّ في أنَّ الصُّعودَ لأعْلَى البُرْجِ كانَ صَعبًا بَيْنما كانَ الهُبوطُ أسْهَلَ بكثيرٍ .

وابْتَسَمَ أبي ، ولَمْ يُعَلِّقْ لأنـــَّهُ يَثِقُ كثيرًا في ذَكائي .

وأخيرًا ؛ قَبلَ أنْ يَتْرُكَني مَعَ نُهَى طَلَبَ مِنْ كُلٍّ واحِدَةٍ منَّا أنْ تُفَكِّرَ في ثَلاثِ فَوائِدَ للجَاذِبيَّةِ ، وَبدا الأمْرُ شيِّقًا فَبَدأتُ الحديثَ :

- الجَاذبيَّةُ تُمْسكُ بكُلِّ مُكَوِّنات الأرْضِ وَعَناصِرِها وتَحُولُ دُونَ ضَياعِها في الفَضاءِ الخارِجيِّ ، فَتُحافظُ عَلَى الحياةِ ذَاتِها .
- تُساعدُنا الجاذبيَّةُ عَلَى مُمارَسَةِ الرِّياضَاتِ المُمْتِعَةِ وكَأنَّها تُشارِكُنا اللَّعِبَ . يَظْهَرُ ذَلكَ في الوَثْبِ والجَرْيِ واللَّعِبِ بالْكُرَةِ والانْزِلاقِ عَلَى الجَليدِ وَرَفْعِ الأثْقالِ والتَّأرْجُحِ والقَفْزِ بالمظَلاَّتِ .
- الجاذبيَّةُ تَجذبُ ماءَ الصَّهاريجِ العاليَةِ لِيَنْسابَ داخِلَ الأنابيبِ كَما تَجْعَلُهُ يَنْسابُ لأسْفَلَ مِنَ الصُّنْبورِ المَفْتوحِ .

دَوْرُكِ يانُهَى ...

وبِسُرْعَة قالَتْ نُهَى :

- تُساعِدُنا الجاذِبِيَّةُ فِي دَحْرَجَةِ الأشْياءِ الثَّقيلَةِ فَوْقَ المُنْحَدَراتِ كَجُذوعِ الشَّجَرِ والصُّخورِ والبَراميلِ .
- الجاذِبِيَّةُ تَجعَلُ لِكُلِّ شَيءٍ وَزْنـًا مَعلومًا .
- تُؤدِّي الجاذِبِيَّةُ لِتساقُطِ المَطَرِ وتَدَفُّقِ الأنْهارِ ، فَتَـنْمُوَ الحياةُ .

وهُنا قالَ أبي : سَأذْكُرُ لَكُما فَائِدَتَيْنِ طَرِيفَتَيْنِ مَعَ ماذَكَرْتُما :

- تُحافِظُ جاذِبِيَّةُ الأرْضِ عَلَى مَدَارٍ ثابِتٍ لِلقَمَرِ حَوْلَها .

ثُمَّ تَساءَلَ أبي : كَيْفَ تُدارُ المصَانِعُ وتُضاءُ المُدُنُ ؟

قُلْنا مَعًا : بالكَهْرَبـــاءِ .

وَعادَ يَسْأَلُ : وَمِنْ أيْنَ نَحْصُلُ عَلَى الكَهْرَباءِ ؟

أجابَتْ نُهَى : مِنَ المساقِطِ المائِيَّـــةِ والشَلاَّلاتِ .

وأدْرَكْتُ مَقْصِدَ أبي ، وَذَكَرْتُ الفائِدَةَ الأخيرَةَ بِسُرْعَةٍ :

- بِفَضْلِ الجاذِبِيَّةِ تَحْدُثُ المساقِطُ المائِيَّةُ ، ومِنَ المساقِطِ نَقومُ بِتَوْلِيدِ الكَهْرَباءِ .

وَهُنا وَدَّعَنا أبي قائِلاً : اسْمحا لِي أنْ أشِيدَ بِذَكائِكُما ، وأقولَ لَكُما إلَى اللِّقاءِ .

وهَكَذا أمْضَيْتُ مَعَ صَدِيقَتِي نُهَى وَقْتًا سَعِيدًا ، بَدَأناهُ بِمُحاوَلَةٍ فاشِلَةٍ لإرْغامِ عُصْفُورِ الجنَّـــةِ عَلَى الطَّيَرانِ ، وانْـــتَهَى بِمعْرِفَةٍ جَدِيدَةٍ نَعْـــتَزُّ بِإضافَتِها إلَى مَعارِفِنا السَّابِقَةِ .

أمَّا سُولِي العَزِيزَةُ فإنِّـــي أقَدِّمُ لَها فِي نِهايَةِ حَدِيثِي الشُّكْرَ والعِرْفانَ ، وَأعِدُ بِتَرْكِها تَعِيشُ الحياةَ كَما تُحِبُّ وتَهْوَى .

* * *

- يُعاني رُوَّادُ الفَضاءِ مِنْ حالَةِ انْعِدامِ الوَزْنِ فِي الفَضَاءِ الخارِجِيِّ ؛ اذْكُرِ السَّبَبَ .
- لا يَقومُ بِناءُ الأكْوانِ بِغَيْرِ الجاذِبِيَّةِ .

فَكِّرْ فِي تِلْكَ الجُمْلَةِ ، وحاوِلْ مِنْ خِلالِ البَحْثِ أنْ تَتَأكَّدَ مِنْ صِدْقِها .

* * *

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

حميدة، محمود رمضان .
أنا وعصفور الجنة / بقلم محمود رمضان حميدة ؛
رسوم ماهر عبد القادر .- ط١ . - القاهرة : دار الرشاد ، ٢٠١٠ .
٢٤ ص؛ ٢٣x ٢٣ سم . - (أصدقاء دائما)
تدمك ـ ١١٤ - ٣٦٤ - ٩٧٧- ٩٧٨.
١- قصص الأطفال .
أ- عبد القادر ، ماهر (رسام)
ب- العنوان ٨١٣،٠٢
ج - السلسلة .

الناشـــــر : دار الرشاد
العنـــوان : ١٤شارع جواد حسنى – القاهرة
تليفاكـــس: ٢٣٩٣٤٦٠٥
بريد إلكتروني: Dar_alrashad @ hotmil.com
رقـم الإيداع : ٤٠٢٣ / ٢٠١٠
الطبـــع : عربية للطباعة والنشر
العنـــوان : ٧، ١٠ ش السلام – أرض اللواء- المهندسين
تليفـــون : ٣٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٣٢٥١٠٤٣
إخراج الغلاف: للفنان عبادة الزهيرى
الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة